دراسات إنسانية واجتماعية

مجلة مُحكمة ومُصنفة (ج)

تصدرها جامعة وهران2

المجلد العاشر العدد رقم 01 16 جانفي 2021

الإيداع القانوني:2751 - 2012

ISNN: 2253-0592

EISSN: 2588-199X

Prefix: 10.46315

دراسات إنسانية واجتماعية

مجلة مُحكمة ومُصنفة (ج)

تصدرها جامعة وهران2

محمد بن أحمد

تصدر بانتظام في التواريخ الآتية:

16 جانفي & 16 جوان من كل سنة

المجلد العاشر العدد 10/ 16 جانفي 2021

الإيداع القانوني:2751 - 2012

ISNN: 2253-0592

EISSN: 2588-199X

Prefix: 10.46315

مجلة دراسات

إنسانية واجتماعية

مجلة دورية محكمة مُصنفة تصدرها جامعة وهران 2

مدير المجلة

أد. بلاسكة إسماعيل

مسؤول التحرير

أ.د عبد القادر بوعرفة

طاقم التّحرير المساعد

أد. ياسين أمينة (جامعة وهران2) أد. بوحفص مباركي (وهران2) أد. وحميش غنية (وهران2) د. زيتوني ميمونة (وهران2) أد. زروخي إسماعيل (قسنطينة) أد. هامل بن عيسى (الأغواط) أد. سلاف مشري (واد سوف) د. بركاوي محمد مهدي (جامعة أدرار) د. مغربي زين العابدين (سيدي بلعباس) د. سامي اميرة (تركيا) أد. الراضي آمال (المغرب) د. سلمان زكرياء (المغرب) د. محمد عبد الله السردي (فلسطين) أد. العبيدي عفراء إبراهيم (العراق) أد. سعاد الهادي حسن الطائي (العراق) د. حارث قحطان (العراق) د. زينب رضا حمودي الجويد (العراق) د. علي عبد الأمير عباس الخميس (العراق) د. محمد علي عباس عبد الله العبيدي (العراق) أد. رحاب يوسف (مصر) أد. عبد رازق عماد (مصر) د. حازم مطر (مصر) د. محمد صالح محروس (مصر) د. السعودي شريف (سلطنة عمان) د. الصوافية جوخة (سلطنة عمان) د. أمجد عزات جمعة (سلطنة عمان) د. سوميه شكري محمد محمود (السعودية) د. عطية بوزيان مريم (السعودية) د. عاشور حسين سالم رمضان (السعودية) د. قنبر مصطفى (قطر) د.عبد المنعم مجاور (قطر) أد. أندرو تشارلز بريز (جامعة نافارا -إسبانيا) أد. إيستين دانيال (جامعة ويلز - المملكة المتحدة) د. إليزابيل بيشوب (أمريكا) د. بسناسي محمد (فرنسا).

شروط النشر بالمجلة

****

1- أن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية، ودقة التوثيق.

2- ألا يكون جزءاً من بحث سبق نشره أو جزء من رسالة جامعية تمت مناقشتها.

3- أن يكون البحث مكتوباً باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية.

4- ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 4000 كلمة.

5- أن يرفق البحث بملخص بالإنجليزية، وعند الكتابة بلغة أجنبية يكون الملخص باللغة العربية، على ألا يتجاوز كل ملخص 100كلمة.

6 - أن يكتب المقال وفق قالب (Template) المجلة، والذي يمكن تحميله من الموقع.

7- الإحالات تكون وفق طريقة APA فقط، ولا يُكتب أي شيء أسفل الصفحة.

8- تخضع البحوث للتحكيم في زمن قدره 60 يوما.

9- الآراء الواردة في المجلة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها.

10- موقع المجلة الرسمي:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/21.

محتويات العدد

عنوان المقال	الكاتب	ص
الكلمة الافتتاحية	أد. عبد القادر بوعرفة	8-7
أخلاقيات "العيش المشترك" وجدل الثقافات	د. بن يمينة كريم محمد/ ج. سعيدة	19-9
الصورة في المنطق.. المدلول والمجال	د. حمادي سايح/ جامعة مستغانم	34-21
دور المنطق في هندسة المناهج الكلامية وترشيدها المنهج الجدلي أنموذجا.	أ. سامي سنوسي/ جامعة الجزائر2	45-35
تخصصات العلوم العقلية والتجريبية في المنطق	أد. محمد وادفل/ جامعة قسنطينة2	64-47
اليوتوبيا ونهاية التاريخ مشروع المسيري أنموذجا	د. شريف الدين بن دوبه / ج. سعيدة	78-65
التحليل السوسيو-بيداغوجي للمعرفة الموضوعية باشلار أنموذجا	عناني نورالدين & أ.د بوشيبة محمد/ جامعة وهران2.	90-79
العقلانية التواصلية والسياسة عند يورغن هبرماس	قداوي محمد & أد. دراس شهرزاد/ جامعة وهران2.	100-91
التربية الدينية بين الواقع والمستقبل عند جون ديوي	بن صابر محمد & أد. سواريت بن عمر/ جامعة وهران2.	116-101
عودة الدين إلى الفضاء العام قراءة في آراء هابرماس	بديار محمود & أد. محمدي رياحي رشيدة/ جامعة وهران2.	130-117
وسائل الإعلام كخدمة عمومية: قراءة في تطور معاني الخدمة العمومية ضمن الأنظمة الصحفية.	د. عطاله غوثي/ جامعة وهران1.	142-131
مفهوم جودة الحياة المهنية لدى العامل الجزائري.	غليط شافية/ جامعة قسنطينة 2.	156-143
معيقات تطبيق التّعلّم التّنظيمي من وجهة نظر العاملين بشركة توزيع الكهرباء والغاز -سونلغاز- بالبيّض.	بن صفية محمد & د. نعيجة رضا / جامعة أحمد دراية –أدرار.	174-157
مصادر العمل الاجتماعي التطوعي في الإسلام (الوقف أنموذجا)	أبوبكر حبوسة & د. كمال لحمر/ جامعة محمد لمين دباغين سطيف2.	188-175
صورة المرأة في المخيال الجزائري دراسة سيميو-أنثروبولوجية لحكاية الفتاة والغول.	د. عبدالكريم قدوري/ جامعة سعيدة.	202-189
الدعارة الخفية لدى الفتاة في المجتمع الجزائري.	عبابو فاطمة & أد. مسعودي موالخير/جامعة لونيسي علي البليدة2.	216-203
دور الإدارة الإلكترونية في دعم مؤشرات الأداء التنظيمي بالبلدية في الجزائر- حالة بلدية "عين البنيان" بالجزائر العاصمة-	كريمة عبة & أد. رشيدة سبتي/ جامعة الجزائر 3.	228-217
دور التخطيط الحضري في حماية البيئة دراسة حالة أدوات التعمير لبلدية بئر العاتر ولاية تبسة/الجزائر.	د. عيسى قريب / جامعة العربي التبسي، تبسة/ الجزائر.	243-229
دور تمرينات التوافق العصبي العضلي في الرفع من مستوى الصحة النفسية لدى أطفال الصم والبكم (12-15) سنة.	عباس لخضر & أد. حرواش لمين/ جامعة الجلفة.	258-245
مساهمة الشعور بانعدام الأمن النفسي في التنبؤ بتواجد الاضطرابات البسيكوسوماتية وتدني التحصيل الدراسي لدى عينة من تلاميذ المدارس الابتدائية.	د. سحيري زينب & د. زعابطة سيرين هاجر / جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر.	272-259
جودة الحياة لدى طلاب طب الأسنان.	شاتي نجاة & أد. فراحي فيصل/ جامعة وهران2.	284-273
قياس فاعلية برنامج إرشادي لتطوير كفايات معلمات رياض الأطفال.	د. جوخة بنت محمد بن سليم	307-285

	الصوافي/ سلطنة عمان.	
الخصائص السيكومترية لمقياس أنماط الشخصية التسعة في البيئة الأردنية.	د. شريف عبدالرحمن عبدالوالي السعودي/ سلطنة عُمان.	**327-309**
اقتراح بروتوكول تشخيصي أرطوفوني للطفل المصاب بالشلل الدماغي.	دردور أسماء & بوعكاز سهيلة & أد. محمد حوله/ جامعة الجزائر2.	**342-329**
منهجية كتابة التاريخ عند أوغست كونت.	محمد بن موسى & د. محمد شبوب المدرسة العليا .أ. ببوزريعة الجزائر.	**356 -343**
الصيد البحري في المغرب الأوسط بين الممارسة الحرفية والحياة المعيشية.	د. علي عشي/ جامعة باتنة1.	**370-357**
السياق وأثره في تحديد مقصدية الخطاب الديني.	د. شيخ أعمر الهوارية/ المدرسة العليا للأساتذة بوهران.	**386-371**
توظيف الموسيقى في رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج.	عزة شبلي & د. ميلود قيدوم/ جامعة ماي1945قالمة	**398-387**
منظومة ما لا يستحيل بالانعكاس.	د.محمد المهدي بكراوي & د.محمد عبد الحق بكراوي/ جامعة أدرار.	**414-399**
التراث في مسرحية السد أشكاله ومنظوره الوظيفي	يوسف بغدادي & أد. أحمد التجاني سي كبير/ جامعة ق. مرباح ورقلة	**424-415**
الأنتروبومورفيزم أو التشبيه بين الله والانسان في عقائد الشيخ ابن تيمية الحَرَّاني.	د. فرعون حمو/ مختبر الأبعاد القيمية، جامعة وهران2.	**437-425**

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) / ج وهران02/ المجلد 10 ع 01/ 16 /01/ 2021
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

الافتتاحية

ابن رشد والغزالي

الخلاف الظاهري والوفاق الباطني

رئيس التحرير أد/ بوعرفة عبد القادر

Doi : 10.46315/1714-010-001-001

*****

يُكتب التاريخ في أغلب الأحوال على أسس إيديولوجية، تتحكم فيها العصبيات الفكرية، والنزعات الثقافية بين الأمم. ويحدث الأمر ذاته داخل الأمة والدولة الواحدة، حيث نجد في العصر والمصر الواحد تَنَازُعٌ بين المؤرخين في تدوين الحدث، حيث يصطبغ الحدث بما يمليه الدَّافع لكتابة التاريخ أصلا. وفي هذا المجال استغل كثير من المفكرين مهاجمة ابن رشد للغزالي، ليلصقوا به اغتيال العقل وغلق باب الفلسفة وإعلان موتها، وأصبح ابن رشد يمثل التنوير والغزالي يمثل الرجعية والظلام تُبين دراسة مؤلفات ابن رشد أن الرجلَ كان عكس ما ذهبوا إليه تماما، فالغزالي هو المَعلم الفلسفي، والملمح النظري للتفكير والنقد، أما مُهاجمة الغزالي فكانت توريةً وتخفياً مشروعاً.

سنرى من خلال ملازمة ابن رشد للبيت الملكي إدراكه لخطورة المذهب التومرتي على أفق التفكير السّياسي، وخطورة فكر ابن تومرت، لكن ابن رشد لا يستطيع أن ينتقد ابن تومرت الأب الروحي للموحدين فاختار أسلوباً جديداً للنقد، إنّه النقد بالتلميح الذي يتأسس على نقد المرجع الأول لابن تومرت والمتمثل في شخص الغزالي الأشعري. إن أغلب الدراسات تحاول تصوير ابن رشد مهاجماً للغزالي، لكن القليل الذي استنتج أن النقد الرشدي ليس موجهاً للغزالي فحسب بل موجها لفكر ابن تومرت.

لقد ربط ابن رشد إيديولوجية الدولة الموحدية بفكر ابن تومرت، وأن تحطيمَ هذه الإيديولوجية لا ينجح بالتّصريح المباشر، لذا اختار الغزالي ليحاوره فلسفياً من أجل أن يتقدم هو فلسفياً وسياسيا: **لقد اختار ابن رشد الغزالي كمحاور لكي يتقدم فلسفيا بالمسألة الحاسمة الخاصة بالعلاقات بين الفلسفة والدين. ومن جهة**

أخرى هي أن نقد ابن رشد الأشاعرة والغزالي الأشعري كان نقداً بكيفية غير مباشرة لمؤسس السلطة الموحدية في المغرب، ابن تومرت الذي أذاع المذهب الأشعري في هذه البلاد، ورسَّمته الدولة التي انبنَّت على دعوته، والذي جعل من قضية إحراق المرابطين كتاب الإحياء للغزالي فرس رهانه السياسي.

يستعمل ابن رشد الأسلوب نفسه الذي استعمله ابن تومرت ولكن لغرض آخر، لقد اختار ابن تومرت الغزالي ليتقدم سياسياً في حين اختار ابن رشد الغزالي ليتقدم معرفياً أولاً، ثم ليطيح بابن تومرت ثانياً، فالعلاقة واضحة بين الغايتين.

نحتاج من خلال هذه الجدلية التاريخية بين ابن رشد الحفيد وأبي حامد الغزالي، لنعيد دفع السؤال الفلسفي من جديد.

تزخر الأمة بكثير من النَّماذج التي تصلح أن تكون نَمَاذجَ تحتمل الجدل الافتراضي بينها، ونستطيع من خلالها صنع مشهد فلسفي بامتياز، يُعيد للعقل أفق تجديد طرح الأسئلة الصميمة، التي من شأنها دفع الإنسان إلى إعادة تجديد نفسه، والتّملص من منطق المجتمعات الاستهلاكية التي باتت تحاصر أبعاد وجوده، ولا ريب أن البعد الوحيد الذي نراه مُتمكنا من البشر هو البعد الاستهلاكي لكل ما هو تقني بالدرجة الأولى، لقد أصبحت التقنية أكبر الأخطار التي ستفتك بمصير الإنسان، فهي تُفقده أدواره الوجودية ووظائفه الاجتماعية، ونلاحظ أن مساحة وجوده بدأت تتقلص رويدا رويدا، وهذا لن يكون في صالح مستقبله على الإطلاق.

Dirassat
Insaniva wa litimaiva
Journal of Social and Human Science Studies

Classified c

An academic peer-reviewed journal issued by the Oran university2

Volume 10 N01/ 16 Janvier 2021

Depôt Legal: 2012- 2751

ISSN:2253 – 0592

EISSN: 2588-199X

Prefix: 10.46315

Dirassat

Insaniya wa Ijtimaiya

Journal of Social and Human Science Studies

Classified C

An academic peer-reviewed journal issued by the Oran university2

Volume 10 N°1. 16 January 2021

Depôt Legal: 2012- 2751

ISSN:2253 – 0592

EISSN: 2588-199X

Prefix: 10.46315

Dirassat

Insaniya wa Ijtimaiya

Journal of Social and Human Science Studies

An academic peer-reviewed journal issued by the Oran university2.

Honorary President

Pr. Blaska Ismail

Editor in Chief

Pr. Abdelkader Bouarfa

****

Editorial Committee

Pr. Yacine Amina (Oran2) Pr. Bouhafs Mebarki (Oran2) Pr. Ouahmiche Ghania (Oran2) Dr. ZITOUNI Mimouna (Oran2) Pr. Zaroukhi Ismail (Constantine) Pr. Hamel Benaissa (Laghouat) Pr. Soulafe Mashri (Wad Souf) Dr. BEKRAOUI Mohamed Mahdi (Adrar) Pr. Zine El Abidine Megharbi (Sidi Bel Abbas) Dr. Sami Amira (Turkey) Pr. Radi Amal (Morocco) Dr. Salman Zakaria (Morocco) Dr. Mohammed Abdullah Al-Sardi (Palestine) Pr. Afraa Ibrahim Al-Obeidi (Iraq) Pr. Suad Al-Hadi Hassan Al-Taie (Iraq) Dr. Harith Qahtan (Iraq) Dr. Zainab Reda Hammoudi Al-Jaweed (Iraq) Dr. Ali Abdul Amir Abbas Al-Khamisse (Iraq) Dr. Mohammed Ali Abbas Abdullah Al-Obaidi (Iraq) Pr. Rehab Yousef (Egypt) Pr. Abdel Razek Emad (Egypt) Dr. Hazim Matar (Egypt) Dr. Mohammed Saleh Mahrous (Egypt) Dr. Saudi Sharif (Oman) Dr. Al-Sawafia Jokha (Oman) Dr. Amjad Ezzat Juma (Oman) Dr. Sumeya Shukri Mohammed Mahmoud (Saudi Arabia) Dr. Attia Bozian Mariam (Saudi Arabia) Dr. Ashour Hussein Salem Ramadan (Saudi Arabia) Dr. Qanbar Mustafa (Qatar) Dr. Abdel Moneim Megawer (Qatar) Pr. Andrew Charles Breeze (Navarra-Spain) Pr. Iestyn Daniel (Wales-United Kingdom) Dr. Bishop Elizabeth (America) Dr. Besnaci Mohammed (France).

Submission Guidelines

Dirassat Human and social studies.

1-This journal published original scholarly articles with novelty, scientific value and accuracy of language documentation.

2-Articles should not be part of a published paper or part of a thesis discussed.

3-Articles might be written in Arabic or either in English or French.

4- The article must not exceed 4000 words.

5 - Submit a summary (100 Word) in English. When writing in a foreign language summary should be in Arabic (100 Word).

6 - Write the article according to the magazine template, which can be downloaded from the website.

7 – References and bibliography should be given according to the APA style only, and not used at the bottom of the page. (Notes and definitions...,) must be written within the text.

8-Articles are subject to expertise within a period of 60 days.

9- The articles reflect only the opinions of their authors.

10- The official website of the magazine:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/21.

Journal of Human Studies and Social (دراسات إنسانية واجتماعية)/ University Oran2. Volume 09 N03 /16 /06/ 2020
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

Contents

Article	Writer	Page
Philosophy and the Everyday: How should their relationship be tackled?	Mohammed Chaouki ZINE University of Tlemcen.	439-450
Developing Reflective Learning in ESP	Ismahan Hayet MEGNAFI & Radia Benmensour Benyelles. University of Tlemcen.	451-462
The Role of Cultural Representations in Choosing the Traditional Therapeutic Practices in Mostaganem. (an Anthropological Study of the Disease Sciatica).	Mohammed El Amine Behtita & Sahraoui Benhalima. University of Mostaganem	463-472
Applying the Critical Discourse Analysis in Analyzing the Racist Ideology in Joseph Conrad's Literary Text 'Heart of Darkness'	Oueld Ahmed Fatima. MOULOUD MAMMERI Tizi Ouzou / Algeria.	473- 486
A Content Analysis of Hillary Clinton's and Donald Trump's Stances on Black Lives Matter Movement (2013-2016).	Saadia Ouldyerou & Faiza SENOUCI MEBERBECHE. University of Tlemcen.	487- 495
The fundamental choices of Al Qadi Iyad in his book: "Ikmal al-mu`lim bi fawa'id Muslim".	Malek belmokhtar & Dr. Mohamed Achab. University of Oran1.	497-508
La problématique de l'évolution historique dans la philosophie systémique entre Kant, Hegel et Marx.	Dr. Yamna Khaldi University of Mostaganem.	508-519
Les Kunta de l'est et la maraboutisation de touat et l'espace Sahara-Sahel entre le XVIe et le XIXe siècles.	DR.kerroumi brahim & DR. Baotman Abderrahmane. Montréal, Canada & University of Adrar.	521- 531
Supports et compétences de communication orale en classe de français langue étrangère.	BOUABIDA Souâd University of Oran2.	533-544
L'usage de la plateforme numérique Moodle en conjoncture de coronavirus : pratiques étudiantes et représentations.	Dr. Benslimane Ilhem Ecole Normale Supérieure Assia Djebar de Constantine.	545-553

****

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) / ج وهران02/ المجلد 10ع 01، 16 /01/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

اليوتوبيا ونهاية التاريخ
مشروع المسيري أنموذجا

Utopy and the End of history
Abdel Wahab El-Messiri as Example

شريف الدين بن دوبه Charif Dine Bendouba أستاذ محاضر –أ- charif.bendouba@univ-saida.dz	فلسفة الأخلاق	مختبر: تصميم وتحليل sigmaجامعة وهران1 كلية العلوم الاجتماعية والانسانية جامعة مولاي الطاهر سعيدة -الجزائر

DOI : 10.46315/1714-010-001-007

الإرسال: 2018/11/20 **القبول:** 2020/10/04 **النشر:** 16/ 01/ 2000

ملخص:

اقترنت فكرة نهاية التاريخ، بالمفكر الامريكي فوكوياما، والأصل في ذلك أنها فكرة قديمة ليس لاحد الحق الادعاء بأحادية ملكيتها، واسبقيته الفكرية في القول بها، فعالم الفكر لا يملك أبوته أحد، ومراجعة مؤلفات المفكر عبد الوهاب المسيري تكشف لنا عن اسبقيته في طرح هذه الفكرة، واللطيف في المسألة ان المسيري يكشف لنا عن الاصول الطوباوية او اليوتوبية للفكرة، والتي تهدف من خلالها الايديولوجيا الى عولمة النسق المادي، او ما يعرف بأمركة العالم.

الكلمات المفتاحية: التاريخ، نهاية التاريخ، اليوتوبيا، الاحادية الثقافية، المسيري.

Abstract :

The end of history of the great theories of the contemporary period attributed the theory to Fukuyama but the Messiri thinker was one of the first to put forward the idea of the end of history from a different angle. Messiri believes that the end of history has utopian origins in which the plural becomes one.

Keywords : The end of history, Elmessiri : utopian ; Fukuyama

مقدمة:

حاضر الانسان الإدراكي ليس نقطة رياضية لا طول لها ولا عرض، ولا خطاً لا كثافة له يفصل بين الماضي الذي انتهى وبين المستقبل الذي لم يحضر بعد، بل هو بالطبيعة لحظة ديمومة واتصّال، ومن حيث الوظيفة مبدأ وجود، والفصل بين عناصر الزمن مسألة مدرسية اعتبارية لا تمُتّ إلى عالم الحقيقة في شيء، لأن الإنسان هو الكائن ذو الأبعاد، والوحدة التي تجمع بينهما فكرة حدسية غير قابلة للطرح في مستوى حجاجي، لأن الطبيعة البشرية بحيثياتها المتضادة النوعية

البيولوجية والنفسية والاجتماعية نتاج حوادث ماضية، فحاضر العضوية نتيجة تراكم الماضي، ومبحث الوراثة في علوم الحياة يؤكّد هذا الدور في بناء الأنا الحيوي لكل موجود في عائلة الكائنات الحية، كما أن الحقائق التي توصلت إليها المدارس النفسية بوجه عام، ومدرسة التحليل النفسي بشكل أخص تشير إلى أهمية الخبرات الماضية في تكوين العقل الباطن عند الانسان، فمصدر شقاء الانسان عند بعضهم انه ولد طفلا..

وحضور التاريخ في العلوم الاجتماعية لا ينكره غير جاحد، لأن المؤرخ عالم الاجتماع في الماضي، وعالم الاجتماع يكون مؤرخا بعين الاستشراف، فالحاضر وليد الماضي، والتاريخ علم بهذا الماضي، فهو: " فن عزيز المذهب جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر" (ابن خلدون،2002 .16).

والتاريخ دراسة لحدث اجتماعي مؤطر بسياق انتهت معالمه بتدفق الزمن نحو ديمومة غير منتهية، فهو صورة وتجريد لمجموعة قيم من حدث التقت فيه علاقات اجتماعية انتجت أثرا ومعالم مادية وقيمية، فهو سيرورة تسير بالانسان نحو موقع أعلى ومقام أسمى، ومطلبه في الكمال والارتقاء أضفى سكونية على العالم المطلوب، والأنموذج المتخيل، وهو ما عرف لاحقا بلحظة النهاية، تلك اللحظة التي يبحث فيه الفكر البشري عن الركون والاستقرار في عالم الثبات، فهي كمعيش ومتخيل سعادة وأمل متحصل عليه، وفي عالم النظر أطروحة مفترضة في تفسير واقع ومستقبل البشرية.

اقترن اسم فرانسيس فوكوياما بفرضية أو أطروحة نهاية التاريخ لدرجة اعتقد فيها الكثير أنه أب الفكرة تأثيلا وتأصيلا، ولكن الانطلاق من بديهية الاشتراك والوحدة التي يتقاطع فيها العقل البشري -- أعدل الأشياء توزيعا بين البشر كما قال ديكارت-- يحملنا الى البحث عن المقدمات الاثقافية والانتروبولوجية للفكرة في الموروث البشري، وبما أن الأطروحة أزهرت في محيط ليبيرالي، فإن قيمة الأسبقية التي يبحث عنها الليبراليون بغرض تقزيم الآخر، دفعتهم الى نفي كل قول بفكرة النهاية في الثقافات السابقة، وعلى الأخص الشرقية.

والباحث المستقل في الانتروبولوجيا يجد الكثير من مقدمات هذه الأفكار أو مثلها في ما يعرف بالأسطورة التي نعتقد أن أسطرتها أو نعتها بالميثوس ليس الا تهميشا للمحتوى الانساني فيها، ومن بين الدراسات التي تسترجع بعضا من المكانة الضائعة لهاته الثقافات دراسة الأستاذ بوعرفة عبد القادر في مجلة انسانيات بعنوان: الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ يستهلها بالعبارة التالية:"مقولة نهاية التاريخ ليست وليدة العصر، بل هي قديمة قدم الانسان ذاته " (بوعرفة، 2000 ، 95)

ونلمس في دراسة الاستاذ: ع. بوعرفه تأكيدا على المشترك الانساني في عالم الأفكار، من حيث المبدأ، ومن حيث التأصيل أيضا يبين لنا المناحي الاسطورية في أطروحة نهاية التاريخ عند فوكوياما، يقول :"..الثيموس يتجلى في مبدأين: الميجالوثيميا والايسوثيميا، وهما قيمتان متعارضتان.الأولى تجنح نحو قوة غضبية عارمة، ترغب في نزع الاعتراف بالقوة وبالتالي تبدو أكثر شرية لارتباطهما بالتعالي المفرط واحتقار الآخر" (بوعرفة، 2000 ،104) وعليه تصبح الثيموسية عند فوكاياما تأصيلا للكليانية الليبرالية، فالليبرالية عند فوكوياما – كما يقول – بوعرفة عايتها الكبرى والفضلى هي الوصول الى نظام شمولي. (بوعرفة، 2000 ، 105).

من خلال المسلمات السابقة يتبين ان جذور أطروحة نهاية التاريخ موجودة في ذلك النزوع البشري نحو الاستقرار، ونحو شرعنة التملك، والسيطرة على الآخر التي تمثل المنحى السلبي لغريزة الحفاظ على البقاء، والتي يكون فيها الآخر ضحية لميول ورغبات حيوية، وما نروم التعرض اليه في هذه الدراسة الاشارة الى دراسة المفكر العربي عبد الوهاب المسيري التي قدم فيها فكرته، أو أطروحته حول نهاية التاريخ قبل المفكر الامريكي فوكوياما، وغايتنا في ذلك عرض مشروع المسيري محاولين ابراز العناصر اليوتوبية في فكرة نهاية التاريخ، والتي تتقاطع في بعض اللحاظ مع فكرة الاستاذ بوعرفة حول الأساس الاسطوري للفكرة، وسيكون المسار البحثي في التعاطي مع المشكلة من خلال التوطئة بمصادرة معنونة كالتالي: من التاريخ الى فلسفة التاريخ لنصل فيها الى أطروحة نهاية التاريخ محاولين في ذلك ابراز علاقتها مع فلسفة النهايات، لنصل بعد ذلك الى أطروحة المسيري.

1) من التاريخ إلى فلسفة التاريخ:

تضعنا أطروحة نهاية التاريخ أمام تحديدات منهجية واصطلاحية، تضطرنا للتوقف عند دلالات المفاهيم المكونة للعبارة، أهمها البحث في مفهوم التاريخ، الذي يشكل بيت القصيد فمجال وقوع هذه النهاية هو التاريخ، ومادامت طبيعة الدلالات لمفهوم التاريخ زئبقية، فسوف نجد أنفسنا في موقف الدهشة والحيرة من فهم وتفسير دلالة الأطروحة.

ويلاحظ هذا المجال الإشكالي في الآلية التي استخدمها فرانسيس فوكوياما **Francis Fukuyama** للدفاع عن أطروحته، إذ يرجع الاختلاف في نظره بين المفكرين إلى سوء فهم دلالة التاريخ عنده، فالأخذ بمفهوم واحد للتاريخ يضعنا في لحظة قيمية وحكم مؤدلج، فانتقاء مفهوم داخل الحقل الإنساني يعني الخضوع لذاتية فردية أو جماعية، ولا نرغب في التعرض للإشكالات التي يستبطنها التاريخ، فالدراسات الفيزيائية تصبح مقارنة مع البحوث التاريخية مجرد لعب أطفال، ودلالة التاريخ العامة تتقاطع مع التصور العربي والذي يحدّه بعلم الأخبار، كما:" تتطابق دلالة الكلمة من حيث أنه قصة أو حكاية ولا تتضمن أي تحديد في الزمن". (ترحيني. 7)

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

التاريخ هو:" ذلك الفرع من المعرفة الإنسانية الذي يستهدف جمع المعلومات عن الماضي وتحقيقها وتسجيلها وتفسيرها، فهو يسجل أحداث الماضي في تسلسلها وتعاقبها، ولكنه لا يقف عند تسجيل هذه الأحداث، وإنما يحاول عن طريق إبراز الترابط بين هذه الأحداث وتوضيح علاقة السببية بينها أن يفسر التطور الذي طرأ علي حياة الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة وأن يبين كيف حدث هذا التطور ولماذا حدث". (الشيخ. 1988. 10)

لكن الطبيعة المعقدة للحوادث البشرية الماضية تضع أحيانا المؤرخ في مواقع تأملية لاهتمام بمشاغل وأحداث الحاضر لفهم كنهها وتفسير أسبابها، وهي المهمة التي تبدو أنها خارج مهمة المؤرخ، وهي التي تعرف بفلسفة التاريخ، وهي :".. عبارة عن النظر إلى الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية، ومحاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية والعمل على استنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مرّ القرون والأجيال" (الشيخ، 1988. 14)

وتعاطي الفلسفة مع الحوادث التاريخية، يتم بنفس الآلية التي تتعامل بها مع مسائلها، وهي الكشف عن الماهيات، كمرحلة أولى، ثم البحث عن النظام الكلي الذي تجتمع فيه هذه الأجزاء كمرحلة تالية، فهي تنزع نحو "الربط المنطقي" بين أجزاء الحوادث الخاصة بغرض الوقوف على السير المنطقي للأحداث التاريخية في كليتها لذا " تبدو الأحداث التاريخية أمام نظر الفيلسوف أجزاء لا رابط بينها، ومن ثم يطلب الوحدة العضوية بين هذه الأجزاء لأن فلسفة التاريخ لا تقف عند عصر معين ولا تكتفي بمجتمع خاص وإنما تضم العالم كله في إطار واحد من الماضي السحيق حتى اللحظة التي يدون فيها الفيلسوف نظريته". (الشيخ، 1988. 15)

التفرقة بين فلسفة التاريخ وفلسفات التاريخ ضرورة منهجية، لأن القول بفلسفة واحدة للتاريخ يستبطن نوعا من الدوجمائية ومن الإقصاء، والحقيقة أن هناك نظريات متعددة لا تخرج عن سياق النسبية، وما يؤكّد ذلك أن البحث الفلسفي يسلّم بمشروطية الفلسفة ذاتها التي تكون خلاصة روحية لعصرها، أو العصر في فكرة، وعليه فإنه ينبغي وضع أطروحة نهاية التاريخ في سياقها الذي هو فلسفة التاريخ وليس التاريخ، فحركة التاريخ لا تحتاج في سيرورتها إلى أفكار الفلاسفة، بل الأطروحات الفلسفية هي التي ينبغي أن تؤسس على حركة التاريخ.

2) نهاية التاريخ:

يعتقد البعض أن فكرة النهايات فكرة حديثة، ووليدة التغيّرات الفكرية والثقافية التي أفرزتها الحداثة، وفي الحقيقة نجد جذور النهايات في الفلسفات القديمة، إذ يمكن القول أن البداية كانت في اليوم الذي أقرّ فيه أفلاطون بأن الفلسفة هي البحث عن الحقيقة بصورة

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

مطلقة، فكان المطلق الموضوعي نهاية للبحث عن الحقيقة، فكانت المثل المجردة بماهياتها نهاية للبحث الفلسفي.

فكشف النقاب عن الحقيقة هو نهاية للبحث عنها، والإقرار باكتشاف الحقيقة قول يتضمن تصورا انطولوجيا لها، فهي متحيزة أو بالأحرى متمكّنة، وعلى هذا الأساس يصنف مؤرخو الفلسفة الأفلاطونية في زمرة المثالية الوجودية أو الواقعية، وأخذت البنية الأولية لتصور النهاية في النمو عموديا، وفي اكتساح العديد من الحقول المعرفية والعملية أفقيا، وقد تبلورت بشكل واضح وجلّي في عصر العولمة، والذي:" تتآلف فيه الأشياء مع أضدادها، فالمعرفة قوة والقوة أيضا معرفة تفرزها هذه القوة لخدمة أغراضها.." (علي، 2001 ، 9)

ومصطلح النهايات يدخل برابطة النسب ضمن عائلة مفهومية تضم أسرة المنفيات ب(لا) وأسرة المابعديات، التي هي إعلان عن القطيعة مع (الماقبل)، والمنفيات بلا تقف موقفا وسطا بين النهايات والمابعديات فهي تكتفي فقط بنفيها.." (علي، 2001 ، 12)

وتتميز أطروحة النهايات بإعلان النهاية لكل ما هو كلاسيكي، والتمرّد على المعتقدات السائدة فطفو مسائل من قبيل المقدّس والمدنّس والطابو والطوطم على مسطّح البحث الفكري، وخصوصا علوم الانسان بجميع فروعها : نفسية، اجتماعية (انثروبولوجيا) تؤكد المنحى الثوري لهذه المرحلة، كما نجد بعض الفلسفات المعاصرة مثل الفلسفات الوجودية وفلسفة شارل رنوفييه، وايمانويل مونييه الشخصانية، تظهر رغبة الفرد في تجاوز الوضعية السكونية التي خيمت على جميع الهياكل الاجتماعية، والنهايات نتاج فكر متطرف متسرع، تشابهت عليه الظواهر المؤقتة وكأنها قاربت غاياتها أو استنفدت غاياتها، وإما بدافع الحسرة على ما كدنا أن نفقده.. ومن النهايات التي عرفها الانسان المعاصر: نهاية الدولة، نهاية القومية، نهاية المدينة، نهاية الايدولوجيا، نهاية الميتافيزيقا، نهاية المكتبة نهاية الذاكرة، نهاية التاريخ..

يمكن القول أن نهاية التاريخ موقف اعتباري لا يعبر عن حقيقة واقعة ومستقلة في انطولوجيتها، بل يعكس رؤية أو موقف مدرسة تتبنى إيديولوجية معينة من الظاهرة التاريخية أي من خصوصيات الحوادث التاريخية، ومن مسألة تفسيرها أو فهمها، والتاريخ باعتباره مجموعة من الأحداث الحركية المتنوعة والمتعددة تتحدّد من خلال الأصل أو الغاية، والتي قد تكون متعلقة بالطبيعة (التاريخ الطبيعي)، ومنها ما هو تأريخ للإنسان (التاريخ)، فهو: العلم الذي يهتم" بمعرفة الماضي البشري" (Aron,1989 ,119) أو العلم الذي يدرس مصير الأرض والسماء والكائنات وبطبيعة الحال أيضا الحضارات " (Aron,1984, 14).

وقد اعتبر رجال الفكر والسياسة "نهاية التاريخ " أطروحة من الأطاريح التي شكلت المضامين الجزئية لفلسفة التاريخ، التي أسست لقراءات وأسئلة جعلت التاريخ حقلا للتساؤل،

فهي:" .. نظر إلي الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية، ومحاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية والعمل علي استنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول علي مر القرون والأجيال" (الشيخ، 1988 ، 14)

وهي فلسفة تضع الحدود والعتبات التي تقف عندها التعددية والتنوع الثقافي والحضاري في حركة الإنسان التاريخية، فوحدة التعدد أي الوحدة التي تجمع فيها جميع أشكال التنوع الإنساني، والتي يجتمع فيها ولأول مرة في تاريخ الإنسان، البعدين المتضادين **المادي والروحي** تصبح أمراً ممكنا أو بالأحرى واقعاً في اعتقاد القائلين بهذا الطرح، وتكون المرجعية العليا المعتمدة في تفسير الحوادث ككل، مع الاعتقاد المطلق في صدقية المبدأ المعطى للتبني والتطبيق، والذي هو موقف صاحب التصور.

3) المسيري ونهاية التاريخ:

بدأت رحلة المسيري مع المصطلح قبل فوكوياما بعهد طويل، فإذا أجرينا مسحا علميا لأعماله السياسية لوجدنا أن الدراسات في الفكر اليهودي والصهيوني تتصدّر تراثه الفكري، حيث نجدها تربو عن الثلاثين، وقد كان كتابه نهاية التاريخ من الدراسات الأولى التي أنجزها، والباحث المنصف يدرك أن إنجاز كتاب حول موضوع معين يستدعي وجود مقدمات تكون سابقة للعمل، وهذا ما نلمسه في قوله :"..استخدمت مصطلح نهاية التاريخ لأول مرة عام 1965 حينما كنت اكتب رسالتي للدكتوراه عن الشاعر الأمريكي - وولت ويتمان 1892/1810 - وإيمان ويتمان المطلق بالطبيعة وعداؤه للإنسان المركب التاريخي يترجم نفسه إلى عداء للتاريخ يتضح في محاولته الوصول إلى نهاية التاريخ والى اليوتوبيا التكنولوجية.. كان ويتمان يرى أن أمريكا هي هذا الفردوس الأرضي الذي تسود فيه قوانين الطبيعة، قمة التطور التاريخي السابق كله، فهي دولة العلم والتكنولوجيا التي ستهدم التاريخ وتعلن نهايته" (المسيري، 2001 ، 265)

أما فصل الخطاب في أسبقية الفيلسوف العربي في القول أو البحث في مسألة نهاية التاريخ هو الكتاب الذي نشر في سنة 1972 من طرف المؤسسة العربية للدراسات والنشر، والموسوم بنهاية التاريخ (مقدّمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني)، والذي بحث فيه عن العلاقات الموجودة بين الإيديولوجيات والنظم الشمولية، وما نستأنس به في توثيق الحكم في المسألة قوله:" تحوي النظم الشمولية داخلها قابلية لإعلان نهاية التاريخ، فما هو مجهول ليس بغيب، وإنما هو أمر غير معروف بشكل مؤقت .إذ من المتوقع أن يكتشف الإنسان بالتدريج قوانين الحركة خلال عشرات السنين من المحاول والخطأ، وستنكمش رقعة المجهول تدريجيا وتتسع رقعة المعلومات، وسينحسر الجهل ..مع تزايد الترشيد والاستنارة إلى أن نصل في التحليل الأخير وفي نهاية الأمر والتاريخ" (المسيري، 2001 ، 266)

يصرّح المسيري في نفس السياق بنوعية الإيديولوجية الجديدة والمضمرة التي تصبح المسيرة لحركة التاريخ، يقول المسيري:" نهاية التاريخ هي اللحظة التاريخية التي تسود فيها الواحدية الروحية أو المادية في بساطتها واختزالها التي تحوّل الإنسان إلى شيء طبيعي مادي فلا يبقى سوى المبدأ الواحد الذي يستوعب الإنسان تماما فتختفي كل الثنائيات، ويختفي الزمان والتدافع.." (المسيري، 2005 ، 470)

ويكمن جوهر التصور الذي تقوم عليه فرضية نهاية التاريخ، في الجمع بين الطبيعي والإنساني، فهو المرجعية الفكرية التي يقوم عليها هذا التصور هي المادة، وهي التي تعبّر عن الحداثة في تصور المسيري، فالصورة الأخلاقية التي ظهرت بها الحداثة لا تقصي أو بتعبير أدق لا تخفي الوجه الحقيقي لهذه الثقافة، فتاريخ الاستعمار يقر بارتباط المرجعية الفكرية للظاهرة الاستعمارية بثقافة الحداثة، يقول المسيري: " تصدر المنظومة العلمانية الشاملة **الطبيعية المادية الواحدية** عن الإيمان بالمرجعية النهائية الكامنة في المادة، ولذا فهي تدور حول الانسان الطبيعي المادي وهو جسد مادي محض ...ولذا عليه ألا يتجاوزها وإنما عليه تحقيق قوانينها والذوبان فيها، أي أن عليه التخلي عن هويته الإنسانية، وكيانه المركب المستقل، ووعيه الفردي والاجتماعي ..والانسحاب إلى حالة جنينية محيطية أفقية سطحية، حالة واحدية البعد تشبه الجسد الأصم، لا تعرف التدافع أو الثنائيات أو الثغرات" (المسيري، اللغة والمجاز، 2002 ، 51)

يستهل المسيري أطروحته بمناقشة مرجعية التصور الحداثي للإنسان، فالتمييز بين إنسان الطبيعة وإنسان الإنسانية مسألة ضرورية، فالنموذج الأول "إنسان الطبيعة" عند المسيري هو البعد الذي يربط الإنسان بالطبيعة، شأنه شأن الكائنات العضوية الأخرى يولد ويموت ، ينطبق عليه ما ينطبق عليها من قوانين طبيعية حتمية ، أما البعد الإنساني في اعتبار المسيري فيتحدّد من خلال الحضور في التاريخ، وهو البناء المستقل عن الطبيعة والذي هو من صنع يديه ، والذي هو التاريخ ..فهو لا يخضع لقوانين الطبيعة وحدها وإنما يخضع لقوانين التاريخ أيضا، وهي قوانين مغايرة لقوانين الطبيعة رغم ارتباطها بها ورغم اعتماد البيئة التاريخية على البيئة الطبيعية." (المسيري، 1979، 2)

الطبيعة الثنائية للإنسان في نظر "المسيري "هي المتحكمة في حركة الدفع التاريخي، وهي مصدر جدلية الوجود الإنساني، ويظل التاريخ على حد تعبيره مجال المحاولة والخطأ التي يقوم بها الإنسان في نشدانه الكمال، فالتاريخ يبقى هو الفضاء الذي يظهر فيه ومن خلاله قدرته وقابلياته، فالوصول إلى وضعية البراءة الأولى غير ممكن التحقق بشكل حقيقي بل نسبي، على قاعدة الجبلة الخاضعة لقوانين الضرورة، ويبقى الوعي السياسي المنفذ الوحيد لبلوغ هذه اللحظة.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

4) الخطاب الطوباوي وأطروحة نهاية التاريخ:

يحيلنا المسيري في دراساته حول نهاية التاريخ إلى إشكالية مفادها ارتباط فكرة نهاية التاريخ بالتصورات الطوباوية التي تأمل في وجود عالم خال من الشرور والآلام، فالسكونية الناتجة عن الحركة الجدلية تهدف إلى بلوغ مرحلة معينة يكتمل فيها الإنسان ببعديه الفردي والجماعي، لأن قانون التضاد الذي قال به الفيلسوف هيجل، لا يسير في حركة دورية، أو حلقة مفرغة، بل يهدف إلى إفراز اللحظة الإنسانية الفعلية، وإذا جاز لنا استعمال المصطلح الأرسطي والذي يميّز فيه بين الإنسان بالقوة والإنسان بالفعل، فنهاية التاريخ هي النقطة التي يبدأ الإنسان بالفعل في ممارسة وفرض قيمه، فهي مسلمة تستبطن إيديولوجية معينة تنطلق من مبرّرات التفوق والعظمة، فالإنسان النموذجي موجود على مستوى التصور الذهني، فهي:" لحظة يصل فيها التاريخ بكل ما يحويه من تركيب وبساطة، وصيرورة ثبات، وشوق وإحباط، ونبل وخساسة، إلى نهايته في لحظة ما، فسيصبح سكونيا تماما، خاليا من التدافع والصراعات والثنائيات والخصوصيات، إذ أن كل شيء سيردّ إلى مبدأ عام واحد يفسّر كل شيء لا فرق في هذا بين الطبيعي والإنساني." (المسيري، 1979، 258)

تعود كلمة الطوباوية إلى جذور لغوية دخيلة على اللغة العربية، فهي تعريب لكلمة **utopie** اليونانية (ou topos) والتي تتركب من (ou) وتعني (no) أي ليست، و(topos) تعني أي مكان (place) ، والكلمة تعني (no place) أو (No where) ،وعليه تصبح اليوتوبيا: ليست مكانا، أو لامكان (صليبا، 1982، 24) ويؤرخ ميلاد المصطلح بظهور كتاب يوتوبيا Utopieللمؤلف الانجليزي توماس مور، وهي رواية رحلة قام بها بحار اسمه رافاييل هتلوداي، اكتشف فيه جزيرة نموذجية مثالية تصلح أن تكون مثالا سياسيا واجتماعيا يقتدى به في بناء وتجسيد الفردوس أو الجنة بالمفهوم الديني على الأرض.

وفي اللغة العربية نجد كلمة **طوبى الطوبى** مصدر بمعنى الطيب أصله طيبي، قلبت الياء واوا لسكونها بعد ضمة، وهي أيضا جمع الطيبة بالكسر ، وهو من نوادر الجموع . (البستاني، 1930) ونجد في القرآن الكريم ذكر كلمة **طوبى** في قوله تعالى :"الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب"، والدلالة المشهورة لكلمة **طوبى** عند جمهور المسلمين هي أنها شجرة في الجنة ظلها مسيرة مائة عام، وفي بعض الروايات تفسِّر كلمة **طوبى** بالجنة أو أرض الأحلام :" قال سعيد بن جبير: طوبى اسم الجنة بالحبشية ". (الخازن، 2004، 18)

والمشترك بين نهاية التاريخ والايتوبيا يكون في الأساس المعتمد داخل النظرية اليوتوبية التي تتصدر السعادة فيها الغايات الرئيسة لجميع اليوتوبيات، فالبحث عن السعادة والاستقرار فيها يهدف لتجاوز الحركية والكينونة التي تجعل الانسانية تعايش تشظياً انطولوجياً، وبحيازة

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

السعادة تقف البشرية عن السعي نحو الهوية، وتعيش النهاية التي تضع حدا لكل الآلام التي نكابدها كبشر، والمقاربة الفلسفية التاريخية لليوتوبيات تثبت القول بفلسفة الأنموذج او المثال بلغة افلاطونية، فكل يؤسس لهذه النهاية من زاوية ومنظوره الخاص.

والملفت للنظر في فلسفة المسيري اكتشاف خيط الاشتراك بين كثير من النماذج الطوباوية ومسألة نهاية التاريخ في الفكر الغربي والتي تتجه أغلبها صوب تشييء الانسان، يقول المسيري :"..تتضح نهاية التاريخ مع ظهور فكرة اليوتوبيا التكنولوجية التكنوقراطية، التي تنسلخ عن التاريخ الإنساني لأنها تدار وفق العقل الذي يدرك القانون أو العلم الطبيعي، فاليوتوبيا التكنولوجية التكنوقراطية، من ثم تعبير عن رغبة حقيقية وصادقة في وضع الحلول النهائية لكل المشاكل وتأسيس الفردوس الأرضي وإنهاء التاريخ .." (المسيري، 2001، 261)

القاسم المشترك بين أطروحة نهاية التاريخ والخطاب الطوباوي هو الاعتقاد في اللحظة التي تتوقف فيها الطبيعة البشرية، وتتجه نحو السلم وتجاوز التجليات المتغايرة للبعد الأناني أو الطبيعة الهوبزية -**توماس هوبز** - في الإنسان، حيث يضعنا هذا الملمح في الخطاب الطوباوي أو في نهاية التاريخ أولا في موقع القبول والرضا بهذا الحلم الذي راود الانسان قديما وحديثا، وفي موقف الدفاع عنهما ثانيا، فالطوباوية تمثل حلم الجنس البشري بالسعادة، واشتياقه الخفي للعصر الذهبي، أو لجنته المفقودة.." (برنيري،1997، 16)

اليوتوبيا بناء اجتماعي مثالي خال من العنف والقهر والتملك إلى درجة تجعل إمكانية تحقيقه على أرض الواقع صعبة، ويبقى تعلق إمكانية التحقق للمشاريع المثالية مأخذا على اليوتوبيا، في حين أن العيب هو في تقاعس الإنسان عن مواكبة المشروع، فاليوتوبيا صنف معلن ومصرّح به وهي منذ البداية صنف أدبي كما يقرّر (بول ريكور) أما الإيديولوجية فهي غير معلنة بطبيعتها (ريكور،2002، 361) ولكنها تسعى إلى وضع مشاريع مستقبلية وبناء مجتمعات طوباوية، مثل يوتوبيا المجتمع الشيوعي، ويوتوبيا المجتمع الرأسمالي التي تعتقد في النظام الليبرالي الطوباوية المطلوبة والمأمولة من قبل الانسان.

تخفي اليوتوبيا الكثير، من خلال التعبير الجديد للعنوان نفسه، طريق الغموض اليوتوبيا، المكان غير الموجود في أية جهة، وهي الدلالة التي تجملها الكلمة، كما نجدها تقترب من كلمة الايدوتوبيا Udetopia، المكان غير الموجود في أي زمن لايملك حاضرا ولا ماض ولا مستقبل، وتلتقي أيضا كلمة يوتوبيا مع كلمة الأوتوبيا Eutopia، مكان السعادة حيث كل شيء جيد ،فهناك تعددية في المعنى ،و تعددية في الإيحاءات ، تعددية أشكال ،كما لو أنه عبر اللعبة التي تدخلها هذه التعددية تتوصل اليوتوبيا لاحتلال وحدتها ،كما يتوصل المؤلف لحفظ حريته ؛وقد انشغلت بالعالم البديل الممكن بتغيير الموجودات ،والأشياء لتحقيق العدل والمساواة والحرية .

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

يقدّر عدد اليوتوبيات بحوالي ألف ونيف كتاب في اليوتوبيا والديستوبيا dystopia، فهي على حد تعبير الأستاذ فاروق سعد تصاميم ذهنية مادية ومعنوية لمنشآت وأنظمة نموذجية وقيم حضارية مثالية غايتها تحقيق الكفاية والعدالة والسلام، والسعادة للمخلوقات، يبتكرها الفكر الإنساني ويحيط بها بأجواء من الخيال الجامح والغموض الساحر والرمز المشوق موحيا بأن العالم الموصوف هو عالم واقعي موجود بالفعل .(سعد، 1982 ، 77)

لم يغتر الفيلسوف المسيري بالبعد الأخلاقي، أو التجميلي الذي تميزت به الخطابات الطوباوية المتعددة، إذ ينبهنا إلى المنحى المادي الذي يطبع أفق هذه الطوباويات، وعلى الأخص يوتوبيات عصر النهضة التي يعتبرها المسيري إرهاصات للفكر التكنوقراطي الحديث والرغبة في التحكم الكامل النابعة من الرؤية الواحدية المادية، ويستأنس المسيري بيوتوبيا توماس مور، ومدينة الشمس لتوماسو كامبانيلا.

1. يوتوبيا توماس مور(Utopie) ونهاية التاريخ:

يطرح توماس مور في كتابه يوتوبيا تصورا طوباويا للمجتمع، تكون المساواة في هذا المجتمع سمة عامة وبديهية لا تحتاج إلى برهان، بل العكس هو الذي يحتاج إلى البرهنة فهم يجهلون اللامساواة، والخلاف والبطالة الناتج عن الملكية الفردية والحياة من أجل الذات ، والتي تجعل من الغير أداة يصل بها إلى تحقيق السعادة الفردية، فقيم الأنانية هي عنوان المجتمعات الغير يوتوبية بشكل عام، وأسلوب المقابلة هو نوع من الخطاب المشفّر الذي يكتب به توماس مور، يقول مخاطبا الكاردينال :(إن أغنامكم التي اعتادت أن تكون أليفة معتدلة الطعام ..أصبحت شرهة مفترسة، تلتهم الرجال أنفسهم وتدمّر حقولا ومنازل ومدنا بأكملها وتلتهم سكانها، ففي جميع تلك الأجزاء من المملكة التي تنتج ارفع أنواع الصوف، لا يكتفي نبلاؤكم بالمداخيل والأرباح السنوية، التي كانت تدرها عليهم أراضي آبائهم وأجدادهم.. ولا يتركون مكانا سوى الكنيسة التي يحولونها الى حظيرة للأغنام" .(مور ، د.ت ، 79)

النبلاء أو الأشراف في يوتوبيا توماس مور طبقة اجتماعية انتهازية ، وملكيتها في الأصل غير شرعية ، كوّنها هؤلاء بدماء العمال والفقراء، فبعد أن شبههم توماس مور في أول العبارة بأنهم أغنام الملك، أصبحوا فيما بعد يحولون المواطنين الآخرين إلى أغنام فالكنيسة هي الملجأ الوحيد الذي يتبقى للفقراء والمساكين، فالقضاء على الملكية الفردية هو بداية المسير نحو المساواة وبالتالي نحو العدالة وعلى حد تعبير جان توشار المساواة الايتوبية، تجعل الجميع يعمل من أجل الجميع، ولا يمتلك أحدا شيئا خاصا به، إن الجماعة تؤمّن للكل الرخاء، فاليد العاملة متوفرة والإنتاج الزراعي والحرفي منظم جيدا والراحة يمكن استخدامها لتنوير العقل.

من خصوصيات هذه المساواة الانضباط حيث ساعات العمل محددة والطعام أيضا مشترك، وفيها يخضع كل مواطن بدون إكراه لأن المجموعة تقدم له أقصى الرفاهية، يقول توشار:"إن القوانين بغياب

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

النزاعات الناشئة عن الملكية الخاصة، هي بسيطة وقليلة العدد، ودور الدولة يقتصر تقريبا، فقط على إدارة الأمور وعلى توجيه الاقتصاد" (توشار، 1983 ، 211)

أما المؤسسة التربوية في مجتمع **اموروت** مدينة أو عاصمة اليوتوبين فتخل في نطاق السلك الكهنوتي، فالكهنة هم المكلفون بتعليم الأطفال، ويعتبرون الاهتمام بأخلاقهم وفضائلهم لا يقل أهمية عن الاهتمام بتقدمهم العلمي، ويعملون منذ البداية على ملء أذهان الأطفال، ومازالوا يتّسمون بالرقة والمرونة، بالأفكار الصالحة والنافعة أيضا للحفاظ على الدولة، فإذا ما اتخذ هذه الأفكار لها جذورا في أذهان الأطفال، بقيت معهم طوال حياتهم وعادت بالنفع العظيم في المحافظة على حالة الدولة، فالدولة لا تنهار إلا نتيجة للرذائل التي تنبع من الأفكار الخاطئة ".(مور ، 219)

المهمة التربوية من مهام رجال الدين، وعلى رأس الاهتمامات التربوية هي التوعية الأخلاقية والتربية على الفضيلة، فمعيار الشرف في المجتمع ما يؤديه الفرد من خدمات لهذا المجتمع، ولا يستند على نصيبه من الثراء أو حظه من الحسب والقوة، فالعمل الصالح سبيل إدراك السعادة والهناءة.

تنبه المسيري إلى الإيديولوجية المضمرة في الخطابات الطوباوية، فمجتمع توماس مور في تصور المسيري لا يخرج عن النظم الشمولية، لأن سيطرة الجماعة على كامل المؤسسات وتحديد الحق الفردي في الامتلاك، وفي التفكير هو قتل لإنسانية الانسان، وموت للتاريخ فبلوغ هذه اللحظة عن توماس مور هو إعلان عن نهاية للتاريخ، ولذا وجدت الإيديولوجية الشيوعية ضالتها في فلسفة توماس مور.

2. مدينة الشمس ونهاية التاريخ:

مدينة تصورها الراهب توماسو كامبانيلا، وهي مدينة يحكمها ملك هو شخص عادل يسمى الشمس (لديهم أمير مقدس يسمى (O) ومعناه البحار والميتافيزيقي وهو الرئيس الروحي والزمني ويرجع إليه في كل الأمور(Campanella, 2000, 6) فهو يترأس السلطة السياسيّة والإدارية لهذه المدينة، فهو: ميتافيزيقي من جنس الكاهن الأعلى، يملك العلم الكلي والسيادة المطلقة، والذي يقترب أو يشبه في الميتافيزيقا الجوهر الأول.."(Janet, 1872,256)

وصلاحياته الدستورية ليست مطلقة، بل نجد السلطة السياسيّة موزعة بين مجموعة من الهيئات، فهي تتركب من مجلس استشاري يقوم بمساعدة الحاكم في تسيير شؤون البلاد ،ويمكن اعتبارهم باللغة السياسيّة المعاصرة وزراء، أو بلغة النظام الملكي أمراء، وهم وزير القوة المكلف بشؤون الحرب والسياسة، سواء كانت سلطة القرار ، أو الاهتمام بشؤون الحكام العسكريين والمحاربين، والجنود والذخيرة، والتحصينات، ووزير أو أمير المعرفة الحكمة Sapience المسئول عن جميع العلوم، وعن الدكاترة، والأساتذة المتخصصين في الفنون الحرة والآلية، ويساعده عدد من المشرفين أو القضاة مساو لعدد العلوم، وهم المنجِّم، وعالم الكونيات الكوزموجرافيا، والعالم في الهندسة، والفيزياء، والبلاغة، والنحو، والطبيب والعالم في السياسة والأخلاق، ولهؤلاء العلماء كتاب واحد وهو كتاب الحكمة يقرأ على الشعب كله حسب تقليد الفيثاغوريين.

ويمكن القول أن سلطة المعرفة شبه حاليا جميع الوزارات المتعلقة بالتعليم والتكوين المعرفي سواء كان مرحليا أو تعليما أكاديميا، أما أمير الحب فهو المسئول عن الشؤون الاجتماعية والأسرية، وتنظيم العلاقات بين المواطنين، وعليه فالنظام السياسي في مدينة الشمس يتركّب من الحاكم الأعلى (الشمس)،ثم يليه في التراتبية أمير القوة Pon، وأمير الحكمة Sin، وأمير الحب Mar، حيث يمثّل هؤلاء الهيئة التنفيذية، وبجانبها توجد جمعيتان تشريعيتان إحداهما تتألف من رجال الدين ولها سلطة التشريع والثانية تتألّف من جمهور الشعب ولها الفصل في أمور السلم والحرب وإقرار القوانين كما أن الدقة التي يخضع لها مجتمع الشمس هو مجتمع يوتوبي تسقط فيه الملكية الخاصة وتنتهي الأسرة وتقوم الحياة الجماعية وتنتهي الفردية تماما، إذ يتم التخطيط لكل شيء ومراقبة كل الأفراد والوفاء بحاجاتهم المادية والروحية وهو ما يريح الإنسان من عبء المسؤولية والاختيار، ويحل المشكلات والتناقضات الاجتماعية والتاريخية كافة.

إن مدينة الشمس في نظر الأستاذ عبد الوهاب المسيري انعكاس لعالم الطبيعة التي لا يحكمها سوى القوانين الطبيعية، وأعظم الرجال هو من يفهم هذه القوانين ويوظفها، ويوجه حياة المدينة لتكون على وفاق تام مع الكون والطبيعة. (المسيري، 2001 ، 261)

5) نهاية التاريخ بين الصهيونية والطوباوية:

استطاع المسيري من خلال دراساته إلى بيان العلاقة بين الفكر الصهيوني وفكرة نهاية التاريخ في الخطاب الطوباوي، فالثقافة الدينية في المجتمع الطوباوي تشكل الإيديولوجية الرسمية للنظام، ومرجعية التشريع القانوني في الدولة الطوباوية، وما يؤكد ذلك نوعية القوانين والإجراءات العقابية السارية المفعول في هذا المجتمع، والخروج عن هذا المسار يعرض صاحبه للعقوبة، فالواحدية في التأسيس القانوني والتنظيمي لجميع التشريعات المدنية والجنائية إعلان عن نهاية الإبداع الإنساني، وقضاء على كل قابلية وتميز في الشخص الإنساني، فالكل يذوب في الواحد، والواحد في الكل، وقد أجاد المسيري في اختيار المصطلح الواحدية التي تحيلنا إلى فكرة وحدة الوجود الصوفية.

كما ينبغي الإشارة إلى أن طبيعة المادة المعرفية المقدمة للنشء لا تخرج عن إطار الثقافة اليهودية المسيحية، فالأنبياء الثلاث موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام في مدينة الشمس هند كامبانيلا يشكّلون القاعدة المعرفية في تكوين الأفراد الديني .وإن كان الاعتراف بالنبي محمد عليه السلام في المجتمع المسيحي محلّ إشكال . يقول كامبانيلا :" في داخل الدائرة السادسة تجد جميع المبدعين، وفي داخل الدائرة تجد جميع المشرّعين مثل موسى واوزيريس وجوبيتر ومحمد وآخرين". (Campanella، 2000، 9) فالبعد الواحدي في مدينة كامبانيلا يبدو جليّا، وهو ما يشكل نقطة تقاطع بينها وبين فكرة نهاية التاريخ.

ويظهر الملمح اليهودي في تصور فرانسيس بيكون، والوارد في كتابه اطلنطيس الجديدة إذ يصطلح بيكون على المؤسّسة الرئيسة في مدينة اطلنطس الجديدة بـ"بيت سليمان " وهو مؤسسة علمية سعى فيها بيكون إلى "إعداد حلم تعويضي يتحد فيه العلم والقوة ويمسكان بزمام أعلى سلطة في الحكم (برنيري، 1997 ، 164) وانتقاء اللفظ للتعبير عن مؤسسة رسمية، سواء كانت افتراضية أو واقعية يستند إلى مرجعية

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

فكرية تعكس ثقافة المؤلف أو المشرع، إذ يشكل بيت سليمان في الثقافة اليهودية جوهر الفكر الصهيوني، والحفريات المستمرة تحت المسجد الأقصى، والتي تهدد بسقوط المسجد يستمد مشروعيتها في مسألة البحث والتنقيب عن هيكل سليمان، والتقاطعات الاصطلاحية بين معهد أو بيت سليمان عند بيكون، والفكر اليهودي تؤكِّد أثر وحضور الفكر الصهيوني في التصورات الطوباوية.

خاتمة:

نهاية التاريخ ليست وليدة الليبرالية المعاصرة، وادعاء ملكية الفكرة ليس الا تسويقا، ودعاية ايديولوجية، فالفكرة كانت معروفة في الأنساق الفلسفية، والمذاهب الدينية، والايمان بلحظة السعادة إقرار بنهاية التاريخ، فهي لحظة سكون واستقرار يبتغيها الانسان نهاية للمكابدة التي تحايث أنطولوجية، ولهذا نجدها حاضرة في كل الطوباويات، حيث تتفق جميعا على أن الواقع التاريخي بكل معطياته شرطا رئيسا لعملية الخلاص، ولتأسيس الفردوس الأرضي، الذي تتحقق فيه نهاية التاريخ تلك اللحظة التي يكون الإنسان معفيا من مسئولية ارادة الاختيار الأخلاقي، فكل شيء سيكون مخططاً مبرمجاً، خاضعاً لهندسة اجتماعية صارمة، وتحت السيطرة السياسية التكنوقراطية الكاملة، للمؤسسة الحاكمة.

والمسيري في قراءاته لأطروحة نهاية التاريخ يبين أن الانسان في منظور الليبرالية او الرأسمالية المتوحشة هو مجرد شيء، وكائن عضوي محض، ستعمل الميديا على إنهاء تاريخه، واختزال كينونته في الابعاد الحسية، فالارتباط بالتراث الثقافي لم يعد ممكنا من خلال المشاعر والعودة بملكة الذاكرة اليه، بل أصبحت المعايشة للذات التاريخية ممكنة فقط من خلال الصورة البصرية والسمعية التي تختزل تلك المشاعر الجياشة التي يحقق بها الفرد كينونته وانيته.

وتهميش مقاربة المسيري من نهاية التاريخ ليس الا تأكيدا لتوجه التعالي في الليبرالية الجديدة، فالليبرالية عند المسيري ليست الا تأصيلا لأمركة العالم واستضعاف الشعوب، من أجل استنزاف خيراتها، فحضارات الغرب تاريخيا قائمة على الاستيلاب الممارس على الأمم المستضعفة، واليوتوبيا الأمريكية في تصور المسيري تتقاطع مع الصهيونية أو ما يعرف بدولة اسرائيل، وأهم صفة مشتركة تجمع بين المجتمع الامريكي والصهيوني أنه كلهما مجتمع استيطاني نابذ للهويته التراثية، ويعمل على تحديث وإنشاء قومية جديدة ليعيش بها، واعتبار المجتمعات الأخرى وتصنيفها، أو نعتها بالتاريخية ليس الا نفور لاشعوري من التشظي الهوياتي الذي يشكل الجماعة الكائنة، والمكونة للمجتمع الامريكي، واليهودي، فهي تبحث عن إمكانات تحقق لها انطولوجيتها، وهذا ما وجدوه -حسب زعمهم - في مابعد التاريخ، الذي ليس الا محاولة سياسية مؤدلجة.

قائمة المصادر والمراجع

1. Aron, R. (1984). *Introduction a la philosophie de l histoire.* Paris : Gallimard.
2. Aron, R. (1989). *Qu est que l'histoire.* Paris : falois.
3. Campanella, T. (2000). *La Cité du solei.* (A. tripet, Trad.) Genève: Librairie Droz.
4. Janet, P. (1872). *Histoire de la Science Politique* (Vol. 2). paris: llibrairie philosophique de ladrange.
5. البستاني ,ع .ا .(1930) .البستان الجزء الثاني،)حرف الطاء .(Vol. 2) (بيروت :المطبعة الأميركانية.
6. الخازن ,ع .ا .(2004) .لبابل التاويل في معاني التنزيل .بيروت :دار الكتب العلمية.
7. الشيخ ,غ .(1988) .فلسفة التاريخ .القاهرة :دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.
8. المسيري ,ع .ا .(1979) .الفردوس الأرضي .بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
9. المسيري ,ع .ا .(2001) .الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ .القاهرة :دار الشروق.
10. المسيري ,ع .ا .(2002) .اللغة والمجاز .القاهرة :دار الشروق .
11. المسيري ,ع .ا .(2005) .العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة .(Vol. 2)القاهرة :دار الشروق.
12. برنيري ,م .ل .(1997) .المدينة الفاضلة عبر التاريخ) .ع .ا .السعود (.Trad ,الكويت :عالم المعرفة.
13. بوعرفة .(2000) .الأساس الاسطوري لنهاية التاريخ .انسانيات.107-95 ,
14. ترحيني ,م .أ .(s.d.) .المؤرخون والتأريخ عند العرب .بيروت :دار الكتب العلمية.
15. توشار ,ج .(1983) .تاريخ الفكر السياسي) .ع .مقلد (.Trad ,بيروت :الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.
16. خلدون ,ع .ا .(2002) .المقدمة .بيروت :المكتبة العصرية.
17. ريكور ,ب .(2002) .محاضرات في الايديولوجيا واليوتوبيا) .ف .رحيم (.Trad ,بيروت :دار الكتاب الجديدة المتحدة.
18. سعد ,ف .(1982) .مع الفارابي والمدن الفاضلة .القاهرة :دار الشروق.
19. صليبا ,ج .(1982) .المعجم الفلسفي .بيروت :دار الكتاب اللبناني .
20. علي ,ن .(2001) .الثقافة العربية وعصر المعلومات .الكويت :عالم المعرفة.
21. مور ,ت .(s.d.) .يوتوبيا) .إ .ب .سمعان (.Trad ,مصر :الهيئة المصرية العامة للكتاب.